أثر النص القرآني في التعددية الدينية

(دراسة في متطلبات الحوار الديني المعاصر)(*)

د. نور مهدي كاظم الساعدي

جامعة الكوفة- كلية الفقه

بدأت جدلية علاقة "الأنا بالاخر" – بحسب ما يعرضه النص القرآني – منذ ان أمر الله سبحانه الملائكة بالسجود لآدم فامتثلوا لأمره إلا ابليس ابى واستكبر؛ لإعتقاده انه خير منه؛ لقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾(١)، فخرج ابليس متمثلة فيه الـ"انا" – بكل تصوراتها وافكارها واعتقادها بأنها على حق – من دائرة الامتثال لأمر الله وطاعته في السجود لآدم الذي تمثل فيه الـ"الاخر" – بحسب تصورات الأنا واعتقادها بأنه على باطل – الى دائرة الهوى والحيرة والضلال، فنشأ الخلاف والصراع بين الطرفين على اساس متبنيات عقدية لاعلاقة لها بأصل العبودية لله سبحانه، ولم تتوقف تلك الجدلية بين آدم وابليس فقط، بل انتقلت الى بني آدم، فكل يرى نفسه انه على حق والمخالف له بالاعتقاد والافكار هو على باطل من غير اللجوء الى الاستدلال العقلي، وانما بفعل تأثير عامل "انا خير منه"، وتطور الامر ليشمل اديان التوحيد، فكل اتباع دين يرون في انفسهم الحقيقة التي لايمتلكها اتباع دين آخر، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾(٢)، فدخل اتباع الاديان في صراع وتناحر مادي ومعنوي باسم الدين، ولذلك ارتبطت اشكالية "الانا والاخر" باشكالية تعدد الافكار والمعتقدات والمفاهيم التي تشكل منهج الحياة لكل منهما، وبالتالي سيتعدد الدين ويتباين بينهما، فلولا ذلك التعدد لما اصبح هناك "انا" وفي قباله "آخر"، لارتباط ذلك التعدد باشكالية اخرى وهي هوية كل منهما.

أهمية الدراسة

الوضع المعاصر يشهد صراع على اساس ديني وان كان بصورته السياسية، فكل اتباع دين تسعى لفرض هيمنتها على اتباع الاديان الاخرى، لأنهم على حق وغيرهم على باطل، مستمدة تلك الرؤية من فكر ديني ادى الى ظهور حركات متطرفة، تشهر السيف بوجه كل من يخالفها، بمشروعية استقتها من فهمها للنص الديني ايضا، الذي فهمت منه انه يمنع التعدد في الدين ويحصر الايمان بدين واحد.

من هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تسعى الى بيان الخطوط العريضة للرؤية القرآنية للتعدد الديني، مستدعية انماط العلاقة بين الاديان المتعددة من جهة، وبين انماط العلاقة بين "الانا والاخر" عبر تفاعلاتها التي يبينها النص القرآني من جهة أخرى، وتضع مجموعة من التساؤلات تشكل بمجموعها مشكلة البحث التي سينطلق منها في بيان الرؤية القرآنية للتعدد الديني.

مشكلة الدراسة

تسعى الدراسة للإجابة عن التساؤلات الآتية:

١. هل يقدم النص القرآني رؤية عقدية واخلاقية للتعدد الديني – الذي يشكل الحجر الاساس في العلاقة بين "الانا والاخر"- يخرجه من الاطار الغربي – الذي تبناه جون هيك عبر نظريته في التعددية الدينية وسار على منهجه عبد الكريم سروش- والذي يفقد الاديان جوهرها

(١) الاعراف: ٧.

(٢) البقرة: ١١٣.

في جوانبها العقدية إذ كل منها يتسم بالحقانية والخلاصية على درجة سواء، او انه لايوجد دين يمتلك الحقيقة بكاملها لأن اجزاءها موزعة على الاديان؟

٢. هل هناك نص قرآني يمنح اي انسان شرعية الاعتقاد بأنه ينفرد بمعرفة الحق بشكل يجعله يفرض طريقته ومعرفته على "الآخر" المخالف له في المعرفة؟

٣. هل الاختلاف في الاعتقاد سبب من اسباب الصراع الديني، او انه سنة الهية الغاية منها التبادل المعرفي والقيمي؟

٤. ماهي الحلول والمعالجات القرآنية التي يمكن ان يقدمها القرآن الكريم في تنظيم العلاقة بين اتباع الاديان المتعددة في حال عدم اقراره بالتعددية الدينية؟

٥. هل القرآن الكريم يدعو الى فرض الاسلام على الآخر، وكل من لم يمتثل فدواءه السيف؟

٦. ماهي العلاقة بين التعددية الدينية والحوار الديني؟ وكيف يمكن للحوار ان يسهم في اقرار التعددية او رفضها.

٧. اذا كانت التعددية الدينية بداية للحوار، فماهي متطلبات الحوار الديني لاسيما المعاصر منه لتحقيق اهداف الحوار وتفعيل متبنياته الدينية والفكرية؟

هذه اهم التساؤلات الاساسية وهناك اخرى فرعية تضمنتها فصول ومباحث الدراسة، التي على اساسها تحدد منهج البحث للوصول لاجابات النص القرآني عنها.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة منهجية التحليل واستقراء سياق النص القرآني في سعيها للتأسيس المفاهيمي للعلاقة بين الاديان السماوية على وجه الخصوص، واسباب تعددها وموقف الاسلام منها، ولم يخلو البحث من منهجية النقد لبعض اراء المفسرين لاسيما فيما يتعلق بدعوى نسخ بعض الآيات خاصة تلك التي تنظم العلاقة مع الآخر، فجاءت منهجية الدراسة مرتكزة على ثلاث ركائز هي:

١. السياق القرآني الناظر الى القرآن الكريم على انه جملة واحدة، ولذلك حملت الدراسة عنوان "النص القرآني" لما فيه من دلالة ترتكز على السياق الذي تنتظم فيه الآيات الكريمة.

٢. تحليل ذلك السياق لبناء الرؤية القرآنية للتعددية الدينية من خلال تفكيك النص القرآني الدال على قبول التعدد الديني، والنص القرآني الآخر الذي يفهم منه رفض التعددية الدينية والقول بحصرية الدين، ومن ثم اعادة تركيب المعنى المتحصل من ذلك التفكيك وبيان كيفية ارتباطه بالسياق القرآني نفسه.

٣. القراءة النقدية لبعض نصوص المفسرين وبيان مدى ابتعادها او اقترابها من مراد النص القرآني.

وبذلك فإن منهجية البحث تبتعد عن الانتقائية في الاستدلال بالنص القرآني، تلافيا للخطأ الذي وقع فيه من كتب عن التعددية الدينية في المنظور القرآني، وهو الافراط والتفريط في قبولها او رفضها، وسعت الباحثة ان تكون اطروحتها مكملة لما تقدم من دراسات علمية، واخرى قد لم تطلع عليها، ولكن لم تقف الباحثة على معالجة قرآنية لموضوع التعددية الدينية في دراسة اكاديمية كرسالة ماجستير او اطروحة دكتوراه، الامر الذي شجعها على اختيار الموضوع للدراسة.

(*) أطروحة دكتوراه إشراف : أ.م.د ستار جبر الاعرجي